الفصل السادس عشر

أهميّة الوقت ومكانته في الإسلام وخصائصه وخطر إضاعته

التّمهيد:

الزمن والوقت معياران للحياة

الحياةُ وعاؤُها الزّمن، والزّمن معيارٌ للحياة، والوقتُ بَوّابتُهما!.

من هنا كان على المسلم أن يُدْرِكَ حقيقةَ الحياةِ والغايةَ منها، فإذا أدركَ ذلكَ.. أدركَ قيمةَ الزّمنِ وقيمةَ الوقت.

فالعلماءُ لم ينبغوا إلّا حين مَلَؤُوا الزَّمَنَ كدًّا واجتهاداً. والأطّباءُ لم ينالُوا أهليّةَ الطّبابةِ إلّا بعد أنْ شحَنُوا أوقاتَهُم بالدّراسة والدّراية، وبالبحث والفحص، مع البذل الدّؤوب طيلةَ مراحلِ التّحصيل العلميّ.

وكذا القولُ في أصحابِ الهندسةِ والصّناعةِ والزّراعةِ والتّجارةِ، وجميعِ رجالِ الأعمالِ «الوقتُ عندَهُم هو ثَانِيَ رأسِ المالِ».

وكلُّ فَشَلٍ من أسبابِ ضَياعِ الوقتِ، أو مِنْ لَواحِقِ تضييعِ الزّمنِ الصّالحِ للعملِ.

ولهذا كانَ اغتنامُ الأوقاتِ لمَصَالحِ الحياةِ من الوَاجِبَاتِ الشّرعية بلْ إنّ الإسلامَ ملأَ الحياةَ عملاً وكسباً وجدّاً واجتهاداً؛ لتحقيق السّعادتين: سعادةِ الدّنيا، وسعادةِ الآخرة.

إنّ زَمَنَ الدّنيا كنقطةٍ من البحار، أمام زمنِ الآخرة، والدّنيا مزرعةُ الآخرةِ والعُمرُ محدودٌ معدودٌ، كلّما مرَّ يومٌ نقص، وكلّما مرَّ عامٌ اقترب أكثر إلى نهايةِ الأجل.

فمَنْ يَعِي هذا ضنَّ أنْ يضيعَ عمرُهُ في زِبَالاَتِ الإهمالِ!! إنّ الذين يبيعُون حياتَهم للإهمالِ، لنْ يَجْنُوا مِنْ بيعِهم إلّا مذلّةَ الخُسْرانِ، وهوانَ الحرمانِ! ولنْ يجدُوا بديلاً يُعوّضُهُمْ ما فقدُوا؛ لأن العُمرَ إنْ مضَى لنْ يعودَ أبداً.

إنّ كلَّ خيرٍ مرهُونٌ بوقتِهِ! وإنّ كلَّ نفعٍ مقرُونٌ بزمنِهِ! وإنّ كلَّ سَعْيٍ أو كَسْبٍ مقدّرٌ بأجلِهِ.

فمَنْ أهدرَ الوقتَ، وشتّتَ الزّمنَ، وضيّعَ الأجلَ؛ لن يرىٰ خيراً، ولن يجدَ نفعاً، ولن ينالَ سعياً ولا كسباً.

فكَمْ مِنْ خاسرٍ وخائبٍ ومتخلّفٍ ومعدومٍ ومحرومٍ وشقيٍّ وتعيسٍ وبائسٍ كانوا ضَحَايَا لتضييعِ الزّمنِ في حياتِهم.

فإن كان خطرٌ في هذا الوجود يُهدِّدُ حياةَ الإنسان يجبُ توقّيه والحذرُ منه؛ فهو تضييعُ الأوقاتِ باللّهوِ والغفلةِ والعَبَث، فاحْذَرْها أخي المسلم كلَّ الحَذَرِ، واجعَلْها من أبغضِ ما يُؤذِيْكَ وما يُؤلِمُكَ وما يَسُوءُكَ؛ فإنْ فعلتَ ذلك كنتَ من الفائزين المجتهدين، فإنّ لكلِّ مجتهدٍ نصيبٌ..

وعلى هذا يجبُ أن نُنشىءَ أبناءَنا وبناتِنَا، وشبابَنَا وفتياتِنَا، ولنحذِّرْهم من أخطارِ المسلسلاتِ والأفلام التي تُعرض على شاشات التلفزيونات، المحلّية والفضائية، فإنّها والله لا تجلبُ لهم إلّا كلَّ خسارةٍ وفَشَلٍ في الدراسة والعمل؛ فإنّ العُمرَ أَغْلَى من أن يُباع لهذه المسلسلات والأفلام المليئة بالكذبِ والتّزويرِ، وبالعشقِ والحرامِ، طاعةً للشيطان، ومعصيةً للرحمٰن!! إنّ في ذلك لذكرَى للمؤمنين.

البحث الأول:

الوقت ومكانته في الإسلام

بيانُ أهمّيّة الوقت في القرآن الكريم:

لقدْ أقسمَ الله تعالى في مطالع سُورٍ عديدةٍ من القرآن المكّي بأجزاءَ معيّنةٍ منه، مثل اللّيل والنّهار، والفجر، والضّحى والعصر، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[١] ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾[٢] ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[٣] ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾[٤].

ومن المعروف لدى المفسّرين، وفي حسِّ المسلمين: أنّ الله إذا أقسمَ بشيءٍ من خلقه، فذلك ليلفتَ أنظارَهُم إليه، ويُنبّههم على جليلِ منفعتِهِ وآثاره.

وجاءتِ السّنّةُ النّبويّة تُؤكّد قيمةَ الوقتِ، وتُقرّرُ مسؤوليةَ الإنسانِ عنه أمامَ الله يوم القيامة، حتى إن الأسئلة الأربعة الأساسية التي تُوجّه إلى المُكَلَّفِ يومَ الحساب، يُخَصُّ الوقتُ منها سؤالان رئيسان.

فعن معاذ بن جبل أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**لاَ تَزُولُ قدَمَا عبْدٍ يومَ القيامةِ، حتى يُسأل عن أربعِ خصالٍ: عن عُمرِهِ فيما أفنَاهُ؟ وعن شبابه فيما أبلاَهُ؟ وعن مالِهِ مِنْ أينَ اكتسبَهُ؟ وفيما أنفقَهُ؟ وعن علمِهِ ماذا عمِلَ به؟**»[٥].

وهكذا يُسأل الإنسانُ عن عمرِهِ عامّةً، وعن شبابه خاصّةً، والشبابُ جزءٌ من العُمر، ولكنّ له قيمةً متميّزةً باعتباره سنّ الحيويّة الدّافقة، والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعيفين: ضعف الطّفولة، وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي

---

(١) سورة الليل، الآيتان: ١- ٢.
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ١- ٢.
(٣) سورة الضحى، الآيتان: ١- ٢.
(٤) سورة العصر، الآيتان: ١- ٢.
(٥) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له، انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٣٧٠٠.

خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾[١].

ولا ننسىٰ أنّ الإسلام ربط عباداته «وهي أركان الإسلام الأربعة: الصلاة والصوم والزّكاة والحج» بأوقات معيّنة:

فقال سبحانه في الصّلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٢]، أي إنّ فريضةَ الصّلاةِ مؤقّتةٌ في أوقاتٍ محدّدة ومقسّمة في أطراف اللّيل والنّهار.

وقال الله سبحانه في الصّوم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٣].

وقال الله سبحانه في الزّكاة: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[٤]، وثبتَ في السّنّة وجوبَ الزكاة إذا انقضى على المال حولٌ.

وقال الله تعالى في الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[٥].

وهكذا جميعُ أفعال الطاعة والعبادة والإحسان والخير والمعروف، كلٌّ ذلك مرتبط بأوقات وأزمان حدّدتها السّنّة النّبويّة، ولننظر في كتاب «عمل اليوم والليلة» للحافظ النسائي، والحافظ ابن السّنّي؛ لنرى كيف ربط رسول الله ﷺ الدعواتِ والنّوافلَ والمبرّات في الأزمنة والأوقات.

البحث الثاني:

الوقت وخصائصه في الحياة

وللوقت خصائصُ يتميّزُ بها، يجبُ علينا أن نُدركها حقَّ إدراكها، وأن نتعامَلَ معه على ضوئها، منها هذه الخصائص:

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

١ - سرعة انقضائه:

يمرّ مرَّ السّحاب، ويجري جَرْيَ الرّيح، سواء كان زمنَ مسرّةٍ وفرح، أم كان زمنَ اكتئابٍ وتَرَح، وإنْ كانتْ أيّامُ السّرور تمرُّ أسرعَ، وأيام الهموم تسير ببطءٍ وتثاقل، لا في الحقيقة ولكن في شعور صاحبها، فالمسرورُ غارقٌ في ملذّاته، والمهمومُ طائشٌ في بلوائه.

ومهما طالَ عُمرُ الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير، ما دام الموتُ هو نهاية كلّ حيّ!.

وعند الموت تنكمش الأعوامُ والعُقُودُ التي عاشَها الإنسانُ، حتى لكأنّها لحظاتٌ مرّتْ كالبرق الخاطف!.

يُحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام: أنه جاءه مَلَكُ الموتِ ليتوفّاهُ بعد أكثر من ألف سنةٍ عاشَها قبل الطّوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عُمراً، كيف وجدتَ الدنيا؟ فقال: كدارٍ لها بابان؛ دخلتَ من أحدِهما، وخرجتَ من الآخر!!؟.

وسواء صحت هذه القصّة أم لم تصح، فإنّها تُعبِّرُ عن حقيقةٍ مُقرّرةٍ، هي تضاؤل الأعمار عند الموت، ومثل ذلك عند قيام السّاعة، يتراءى للإنسان قِصَرُ ما فاتَ وضآلتُه، حتى يقولَ الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[1]. وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[2].

٢ - أنّ ما مضى منهُ لا يعُودُ ولا يُعَوَّضُ:

وهذه خصيصةٌ أخرى من خصائص الوقتِ، فكلُّ يومٍ يمضي، وكلُّ ساعة تنقضِي، وكلّ لحظةٍ تمرُّ، ليس في الإمكان استعادتُها. قال الحسنُ البصري بقوله البليغ: «ما مِنْ يومٍ ينشقّ فجرُهُ، إلّا ويُنادي: يا ابْنَ آدمَ، أنَا خَلْقٌ جديدٌ، وعلى عملِكَ

(١) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٢) سورة يونس، الآية: ٤٥.

شهيدٌ، فتزودْ منّي، فإنّي إذا مضيتُ لا أعودُ إلى يوم القيامة». ولهذا رأينا الشعراء والأدباء وبعد بلوغ المشيب، يتمنّون عودةَ أيام الشّباب مرّةً أُخرى، ولكنّه محضُ تَمَنٍّ، لا يفيد في كثيرٍ ولا قليل، بقول قائلهم:

ألاَ ليتَ الشّبابَ يعُودُ يوماً فأُخبرُهُ بما فعل المَشِيبُ!

ويُصوّر شاعرٌ آخر كيفَ يمضي العُمرُ، وتذهب أيامُهُ ولياليه بلا رجعةٍ، ولا أمل في رجعةٍ، فيقولُ:

وما المَرْءُ إلّا راكبٌ ظَهْرَ عُمْرِهِ على سفرٍ يفنيهِ باليومِ والشّهرِ
يبيتُ ويُضحي كلَّ يومٍ وليلةٍ بعيداً عن الدنيا قريباً من القبرِ

٣ - أنّه أنفس ما يملكُ الإنسانُ:

ولمّا كان الوقتُ سريعَ الانقضاء، وكان ما مضى منه لا يرجعُ، ولا يُعوّضُ بشيءٍ، كان الوقتُ أنفسَ وأثمنَ ما يملِكُ الإنسانُ! وترجعُ نَفَاسَةُ الوقت إلى أنّه وعاء لكلِّ عملٍ وكلِّ إنتاجٍ، فهو في الواقع رأسُ المال الحقيقي للإنسان فرداً أو مجتمعاً. إنّ الوقتَ ليس من ذهبٍ فقطْ كما يقولُ المثَلُ الشّائعُ، بلْ هو أغْلَى في حقيقة الأمر من الذّهب واللؤلؤ والألماس، ومن كلِّ جوهرٍ نفيسٍ، وحجرٍ كريمٍ، إنّه هو الحياةُ! فما حياة الإنسان إلّا الوقت الذي يقضيه، من ساعةِ الميلادِ إلى ساعة الوفاةِ. وفي هذا قال الحسنُ البصري أيضاً: يا ابْنَ آدم، إنّما أنتَ أيامٌ مجموعةٌ، كلّما ذهبَ يومٌ ذهبَ بعضُكَ وقد صدقَ فيما قال!!. ومَنْ جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حينٌ يعرفُ فيه قدرَهُ ونفاستُه وقيمةَ العملِ فيه ولكنْ بعدَ فواتِ الأوانِ، وفي هذا يذكر القرآنُ موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفعُ النَّدَمُ:

الموقفُ الأول: ساعة الاحتضار، حين يستدبر الإنسانُ الدّنيا، ويستقبلُ الآخرةَ، ويتمنى لو مُنِحَ مُهْلةً مِنَ الزّمن، وأُخّر إلى أجلٍ قريبٍ، ليُصْلِحَ ما أفسد، ويتدارك ما ضيّع، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾[1]! . وكان الرّدُّ على هذه الأُمنية الفارغة قاطعاً ومانعاً: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

والموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفّى كلُّ نفسٍ ما عملتْ، وتُجْزَى بما كسَبَتْ، ويدخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، وأهلُ النّارِ النّارَ.

هناك يتمنَّى أهلُ النّار لو يعودون مرّة أُخرى إلى حياة التّكليف، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحاً!.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[3]![4].

البحث الثالث:

الوقت وواجب المسلم نحوه

وإذا كان للوقتِ كلَّ هذه الأهمّيّة، حتّى ليعدَّ هو الحياةُ حقّاً، فإنّ على الإنسان المسلم واجباً، بل واجباتٍ نحو وقتِهِ، ينبغي أن يعيَهَا، ويضعَها نُصْبَ عينيهِ، وأن ينقلها من دائرة المعرفةِ والإدراكِ، إلى دائرةِ الإيمانِ والإرادةِ، فدائرةِ العملِ والتّنفيذِ.

الحرص على الاستفادة من الوقت:

أوّلُ واجبٍ على الإنسان المسلم نحو وقته، أن يُحافظَ عليه، كما يُحافظ على مالِهِ، بل أكثر منه، وأن يحرصَ على الاستفادة من وقتِهِ كلِّهِ، فيما ينفعُهُ في دينهِ

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ٩ - ١٠.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ١١.
(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.
(٤) من كتاب: الوقت في حياة المسلم: للدكتور يوسف القرضاوي.

ودُنيَاهُ، وما يعودُ على أُمّتهِ بالخير والسعادة، والنّماء الرّوحي والمادّي.

وقد كان السّلفُ ﷺ أحرصَ ما يكونُونَ على أوقاتِهِم؛ لأنّهم كانوا أعرفَ النّاس بقيمتها.

يقول الحسن البصري: أدركتُ أقواماً كانُوا على أوقاتِهم أشدُّ منكُمْ حِرْصاً على دراهِمِكُمْ ودنَانِيرِكُمْ.

ومن هنا كان حرصُهم البالغُ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدّائب، والحذر أن يضيعَ شيءٌ منه في غير جَدْوَى. يقولُ عمر بن عبد العزيز: إنّ الليل والنّهار يعملانِ فيكَ، فاعملْ فيهما.

وكانوا يقولون: من علامة المقتِ إضاعةُ الوقتِ!! ويقولون: الوقتُ كالسيف إن لم تقطعْهُ قطَعَكَ!! وكانوا يحاولُونَ دائماً التّرقي من حالٍ إلى حالٍ أحسن منها، بحيث يكون يومُ أحدِهم أفضلَ من أمسهِ، وغدُهُ أفضلَ من يومِهِ، ويقول قائلهم: مَنْ كانَ يومُهُ كأمسِهِ فهو مَغْبُونٌ، ومَنْ كانَ يومُهُ شراً من أمسِهِ فهو ملعُون.

وكانُوا يحرصُون كلَّ الحرصِ على ألّا يمرَّ يومٌ أو بعضُ يومٍ، أو برهةٌ من الزمان وإنْ قَصُرتْ، دون أن يتزوّدُوا منها بعلمٍ نافعٍ، أو عملٍ صالحٍ، أو مجاهدةٍ للنّفسِ، أو إسداء نفعٍ إلى الغيرِ، حتى لا تتسرّبَ الأعمارُ سُدًى، وتضيعَ هباءً، وتذهبَ جفَاءً، وهم لا يشعرُون.

وكانوا يعتبرون من كفران النّعمة، ومن العقوق للزمن: أن يمضي يومٌ لا يستفيدون منه لأنفسهم، ولا للحياة من حولهم، نموّاً في المعرفة، ونموّاً في الإيمانِ، ونموّاً في عمل الصّالحات.

يقول ابْنُ مسعود رضي الله عنه: ما ندمتُ على شيءٍ نَدَمِي على يومٍ غربتْ شمسُهُ، نقصَ فيه أجَلِي ولم يزدْ فيه عملِي. وقال الشاعر:

إذا مـرّ بـي يـومٌ ولـم أقـتـبـسْ هُـدًى ولـم أستفِدْ علماً فما ذاك من عمري

البحث الرابع:

خطر إضاعة الأوقات

إنّ تضييع الأوقاتِ أشدُّ خطراً من السّفَهِ في إنفاقِ الأموالِ، وإنّ هؤلاء المبذّرين لأوقاتهم، لأحقُّ بالحِجْرِ عليهم من المبذّرين لأموالِهم، لأنّ المال إذا ضاعَ قد يُعوّضُ، والوقتُ إذا ضاعَ لا عِوَضَ له.

ومن العبارات التي أصبحت مألوفةً لكثرة ما تدور على الألسنة، وما تُقال في المجالس والأندية عبارة: «قَتْلُ الوَقْتِ»، فنرَى هؤلاء المبذّرين أو المبدّدين يجلسون الساعات الطّوَال من ليلٍ أو نهارٍ حول مائدة النّرد، أو رقعة الشّطرنج، أو لعبة الوَرَقِ، أو غير ذلك - ممّا يحل أو يَحْرُمُ - لا يُبالون، لاَهِينَ عن ذكرِ الله وعن الصّلاة، وعن واجبات الدِّين والدّنيا، فإذا سألتَهُم عن عملِهم هذا وما وراءه من ضياع؟ قالوا لك بصريح العبارة: إنّما نريدُ أن نقتلَ الوَقْتَ، وما يدري هؤلاء المغفّلين المساكين أنّ مَنْ قتلَ وقتَهُ فقد قتلَ في الحقيقة نفسَهُ، فهي جريمةُ انتحارٍ بطيءٍ تُرتكَبُ على مرأى ومسمعٍ من النّاس، ولا يُعاقِبُ أحدٌ عليها، وكيف يُعاقِبُ عليها مَنْ لا يشعرُ بها، ولا يدري مَدَى خَطَرِها.

لزوم اغتنام الفراغ:

من النّعم التي يغفل كثيرٌ منَ النّاس عنها، ويجهلون قَدْرَها، ولا يقُومُون بحقِّ شُكْرِها: نعمةُ الفَرَاغِ.

روى البخاري عن ابن عباس عن النّبيّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مِنَ الله مَغْبُونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النّاسِ: الصّحّةُ، والفَرَاغُ**»[1]! وهذا الغبن نتيجةٌ لعدم الاهتمام!.

الفراغُ وأثرهُ في حياة الإنسان:

يُقصد بالفراغ الخلوُّ من المشاغل والمعوّقات الدنيوية، المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأُخرويّة.

ولا يُنافي هذا ما جاءت به النّصوص الكثيرة من الحثّ على الكسب وطلب

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٢٩.

المعاش، ما دام ذلك لا يغرقه في لُجَّةِ الحياة ومطالبها، ولا يُعطِّلُه عن القيام بحقِّ الله ﷻ.

والأصل في الغبن أن يكون في البيع والشراء والتّجارة، وهنا وكما يقول العلاّمة المناوي: شَبَّه المكلّفَ بالتّاجر، والصّحّة والفَرَاغَ برأس المال؛ لكونهما من أسباب الأرباح، ومقدمات النّجاح، فمَنْ عَامَلَ الله بامتثال أوامرِهِ ربح!! ومَنْ عَامَلَ الشّيطانَ باتّباعه، ضيَّعَ رأسَ ماله، وخسر الخُسْرَان المبين.

وفي الحديث الآخر: «**اغْتَنِمْ خمساً قبلَ خمسٍ...**» وعدَّ منها: «**وفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ**».

والفراغ لا يبقى فراغاً أبداً، فلا بدّ له أن يُملأ بخيرٍ أو شرٍّ، ومن لم يُشْغِلْ نفسَهُ بالحق، شغلتْهُ نفسُهُ بالباطل، فطُوبَى لمن ملأَهُ بالخيرِ والصّلاحِ، وويلٌ لمن ملأَهُ بالشّرّ والفَسَاد.

وكان السّلفُ الصّالحون يكرهون من الرّجل أن يكون فارغاً، لا هو في أمر دينهِ، ولا هو في أمرِ دُنيَاهُ وهنا تنقلبُ نعمةُ الفراغِ نقمةً على صاحِبِها - رجلاً كان أو امرأة - ولهذا قيل: الفراغُ للرجال غفلةٌ وللنّساء غلمةٌ، أي: محركٌ للغريزة، والتّفكير في أمر الشّهوة. وهل كان تعلّق امرأةِ العزيز بيوسف عليه السلام وشغفَها به، وتدبيرها المكايد لإيقاعه في شِبَاكِها، إلّا نتيجة الفراغ الذي تعيش فيه، فلم يُشغلها شاغلٌ عن اتباع شهواتها. ومِنْ هنا تأتي خطورة الفراغ إن لم يُملأ بعمل صالح ونافع[1]..

(١) الوقت في حياة المسلم، للدكتور يوسف القرضاوي.